# محاضرة

# المشروع الفكري لحسن حنفي

## حياته

بدأ حسن حنفي بمهنة التدريس في الجامعة حتى تولى وظيفة رئيس قسم الفلسفة في جامعة القاهرة ،بالإضافة للتدريس كان يقوم بالتأليف والكتابة ،فقام بكتابة الكثير من المؤلفات في مجال فكر والفلسفة، حصل على درجة الدكتوراه في قسم الفلسفة من جامعة السوربون بعنوان "تأويل الظاهريات" استغرق في تحضير هذه الرسالة مايقرب من 10 سنوات،بداية بين عامي 1985 و1987 تولى منصب مستشار علمي في جامعة الأمم المتحدة بطوكيو،من بين المناصب التي تتولها ايضا منصب نائب رئيس الجمعية الفلسفية العربية، والسكرتير العام للجمعية.

كان حسن حنفي –على حد تعبيره – من الإخوان المسلمين في مرحلة الثانوية والجامعة ،بل وكان صديق مقرب للمرشد السابق مهدي عاكف ، لكن مع مرور الوقت تغير اتجاهه الفكري ، حتى أن ملفه عند وزارة الداخلية موصوف "إخواني شيوعي"، وقد كان رائد للتيار اليسار الإسلامي،الذي حسبه حصد أتباع كثر من جميع أقطار العالم الإسلامي من الأتراك والماليزيين والإندونيسيين الإسلاميين استفادوا من أفكاره وأطروحاته.

## أهم أعماله:

- التراث والتجديد (4 مجلدات)
- من العقيدة إلى الثورة –من النقل إلى الابداع (9 مجلدات)
- مقدمة في علم الإستغراب
- اليمين واليسار في الفكر الديني
- من النص إلى الواقع

- من الفناء إلى البقاء
- من النقل إلى العقل....

## منهجه

يرى حسن حنفي أن أحسن منهج يجب اتباعه في التعامل مع التراث هو منهج التحليل الشعوري الذي طورته المناهج الظاهراتية ، مع مسحة هيغلية – فيورباخية تنظر إلى الوعي الديني كوعي " مغترب " يقتضي تحويله إلى وعي إنساني متناسق من أجل إعادة بناء الحضارة الإسلامية ،واكتشاف الذاتية ..وماذا التراث هو بمثابة القوالب الذهنية للناس فيجب إعادة بنائه لإيجاد بدائل تقدمية مكان البدائل السائدة [1] ،ومن خلال هذا المنهج يقوم حنفي بمحاولة اعادة بناء علوم الدين .

استخدم حنفي فينومينولوجيا هوسرل فى " أزمة العلوم الأوروبية "،أى بعد أن وسعها هوسرل حتى تشمل موضوعات الوعى التاريخى والأزمة الروحية للغرب وانعكاسها على علومه، مشروع حسن حنفى إذن هو فينومينولوجا لأزمة علوم التراث العربية باعتبارها كاشفة عن الأزمة الحضارية للمسلمين فى مقابل فينومينولوجيا أزمة العلوم الأوروبية عند هوسرل، واضطر لأن يتبنى مقولات هيجلية سبق ظهورها فى "فينومينولوجيا الروح "، أي أن هوسرل قد انقلب إلى فيلسوف هيجلى فى " أزمة العلوم الأوروبية " متبنياً نزعة هيجل التاريخية، لذا نلمح أن منهجية حنفي الفينومينولوجية تمزج بين الملامح الهوسرلية والملامح الهيجلية. وهذه الملامح الهيجلية جعلته يتبنى تطوير فويرباخ لفينومينولوجيا هيجل وخاصة لتحليل هيجل للوعى الشكى فى صورة فينومينولوجيا للوعى الدينى المغترب فى " جوهر المسيحية "،ولذلك نراه فى كتابه " من العقيدة إلى الثورة " يمارس رداً لمباحث علم أصول الدين إلى الوعى الإنسانى، بعد أن كان الوعى الإلهى هو المسيطر على المصنفات القديمة فى ذلك العلم،

[1] السيد ولد أباه ، أعلام الفكر العربي ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ،بيروت ، ط 2 ،سنة 2013، ص 40

مع استخدامه لطريقة تحليل الوعى الدينى باعتباره وعياً مغترباً الذى هو فى حقيقته وعى إنسانى ملحق بالإله، ومن انطلاقا من هذا المنهج سعى حسن حنفي لتوظيفه على علمين أساسيين في التراث الإسلامي و هما :

علم أصول الفقه وعلم أصول الدين ،اللذان يشتركان في عنصر واحد وهو "الأصل" ومعناه التأصيل أي (البحث عن الأسس النظرية التي يقوم عليها العلم ،وفي نفس الوقت تكون هذه الأسس هي بناء الواقع ذاته ،وإلا كانت مجرد افتراضات نظرية لا أساس لها في العقل أو في الواقع ،فالتأصيل هي البحث في المبادئ الأولى للعلم ،وهي في نفس الوقت القوانين التي تتحكم في بناء العلم ،والعلاقة بين العلمين عند القدماء علاقة أصول النظر بأصول العمل ،فأصول النظر موضوع " علم أصول الدين " ،في حين أن أصول العمل موضوع " علم أصول الفقه " )[2] ،يفرق حسن حنفي بينهما ، فهو يرى أن علم أصول الفقه (يعطي مقاييس السلوك ، ويصف له كيفية تحقق الأفعال في مواقف معينة ، فهو علم معياري عملي)[3]، حيث يستند هذا العلم على القرآن الكريم و السنة النبوية و يتأسسان في وعي الراوي عن طريق منهجين :

1-منهج النقل المكتوب في حالة القرآن الكريم .

2-منهج النقل الشفوي في حالة السنة النبوية .

حيث يرى حنفي أن الوحي هو المسلمة الأساسية في كل علوم التراث ، و يعامل الوحي بأنه وعي خالص أو قبلي تاريخي وهنا نجد استعماله لمفهوم هوسرل.

أما علم أصول الدين فهو علم ( يحدد التصورات للعالم ،ويحدد رسالة الإنسان في الحياة ،موقفه من العالم وعلاقاته بالآخرين )[4] ،كما يرى حنفي أن لهذا العلم أهمية كبيرة في (قراءة

---

[2] حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة ،دار التنوير للطباعة والنشر ،بيروت ،ط 1 ،1988 ، ص 59 .

[3] نفس المصدر ، نفس الصفحة

[4] نفس المصدر ، نفس الصفحة

العقيدة واقع المسلمين من احتلال وتخلف وقهر وفقر وتغريب وتجزئة ولامبالاة ،كما يرى فيها مقومات التحرر وعناصر التقدم وشروط النهضة لو تم إعادة بنائه طبقا لحاجات العصر بعد أن بناه القدماء تلبية لحاجات عصرهم )[5].

بدأ مشروع حسن حنفي بالإعتماد على الجانب الإبستمولوجي من خلال ترجمته لكتاب سيبنوزا "رسالة في اللاهوت والسياسية" –ولعلّ أعظم ما أسهم به سبينوزا في الفلسفة فصل العقل عن النقل، واستبعاد كلالتفسيرات الغيبية عن التفكير الفلسفي، وقد كانت الدراسات التاريخية التي قام بها للأناجيل استباقًا وتدشين ًاللبحوث التاريخية في القرن التاسع عشر.

## المشروع الفكري لحسن حنفي

فهل انتهى الدكتور حسن حنفي في مشروعه لليسار الإسلامي إلى ما انتهى إليه سيبنوزا في أولوية العقل على النقل ،أو بما قام به ماكس فيبر عندما أسّس لسوسيولوجيا الدين ؟

في كتابه "من العقيدة إلى الثورة"، يتّبع حنفي في منهجه التأويلي الطريقة الكلامية الأشعرية، وهي طريقة جدالية، تقوم على نظرية الكسب، والسببية الطبيعية الميتافيزيقية، وذلك في تمييزه ما بين العلوم الأصيلة والعلوم الدخيلة في الإسلام،وهذا كذلك تأثرا بمنهجية الشيخ الإصلاحي مصطفى عبد الرازق في اعتبار علم أصول الفقه أو "الفلسفة الفقهية"، _على حد تعبيره_، أقل نواحي التفكير تأثرًا بالعناصر "الأجنبية" الدخيلة (اليونانية)، وهو نمط من التفكير يتفق برأي الشيخ عبد الرازق مع طبيعة العرب العملية الفكرية، البعيدة عن مباحث ما وراء الطبيعة الميتافيزيقية المجرّدة _وأقرب إلى مفهوم الحكمة منه إلى الفلسفة.

في كتابه "التراث والتجديد"، يؤسّس الدكتور حنفي نظريته الفكرية الحضارية على الأصول الأولى في الوحي والكتب المقدّسة؛ أي ما يعادل "علوم القرآن"في تراثنا القديم.

---

[5] حسن حنفي ، من العقيدة إلى الثورة، مصدر سابق، ص 72

وغايته في ذلك إمكانية تحويل الوحي إلى علم إنساني شامل، لتحقيق الوحي في التاريخ، من مراحل الوحي السباقة على الإسلام (العهد القديم، والعهد الجديد)، مرورًا بالإسلام، وانتهاءً بالعصور الحديثة. وذلك لتجاوز مناهج التفسير التي عرفها تراثنا القديم (الكلامية، والفلسفية، والفقهية، والصوفية)، التي تراوح برأيه بين مناهج نصية أو عقلية أو واقعية أو وجدانية، هذا مع محاولةِ نظريةٍ جديدةٍ للتفسير، جامعةٍ لها كلها، تكون بمثابة إيديولوجية تنظِّر الواقع وتطوره ابتداءًمن الوحي وانتهاءً بالجهد الإنساني.

لقد فتح"حسن حنفي"مشروعه "التراث والتجديد" وفلسفته على أكثر من صعيد، فهو يكافح على جبهات ثلاث، يبدي موقفه الحضاري ويؤسس لمنظومة قيّم ودلالات فكرية وفلسفية تبنّاها المشروع، جبهة التراث العربي الإسلامي والموقف منه وجبهة التراث الغربي الوافد والموقف منه وجبهة الواقع بكل أبعادها.

1- **موقف من التراث القديم** : وهي الجبهة الأولى المفروضة علينا من أجل تحديد علاقة سليمة وصحيحة بالقديم، ويتلخص ذلك في إعادة بناء العلوم القديمة طبقًا لمتطلبات العصر، واعادة الاختيار بين البدائل سواء كان ذلك في العلوم النقلية و العقلية مثل علم أصول الدين وعلم أصول الفقه وعلوم الحكمة وعلوم التصوف، أو في العلوم النقلية الخالصة، مثل علوم القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، أوالعلوم ...العقلية والطبيعة الخاصة مثل الرياضة [6].

لقد حاول حسن حنفي من خلال هذا الموقف أي موقف من التراث القديم ،اعطاء التراث مصداقية أكثر وإعادة قراءته بشكل يجعله يواكب العصر الحالي ، لأن ما كان في الماضي ليس بالضرورة موجود في الحاضر .فالزمن تغير وتغيرت معه طريقة التفكير في الأشياء، من ثم دعا إلى إعادة بناء العلوم المختلفة وفقًا لما يتماشى والعصر الحالي،و بهذا كانت رؤيته لمبدأ التوحيد على أنه من القضايا التي تعنى بها الأمة الإسلامية ، فالطريقة

[6] حسن حنفي ،الدين والثورة في مصر ،مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ب د ، ج7 ،ص 343-344 .

التي كنا ندافع بها عن التوحيد ، القديمة التي كنا ندافع بها عن القضية اليوم لا تجدي نفعًا بالطريقة القديمة مفيدًا ولا مطلوبًا، فكلنا موحدون، و لكن الدفاع عن التوحيد يأتي عن طريق ربطه بالأرض، وهي أزمتنا المعاصرة [7] ،ومثل هذا الموقف جعل منه مفكرا إسلاميا تراثيا مبدعا .

**2- الموقف من الغرب** :في هذه الجبهة يمكننا تحديد علاقتنا رده إلى حدود الطبيعة وتحجيمه مع الغرب حتى نستطيع اتخاذ موقف من تراثهم و كذلك حتى تتخلص الحضارات الأوروبية من آثار ونقل المعارف منه إلى الإبداع الذاتي ويتضمن ذلك إعادة كتابة تاريخ الحضارة الغربية في خمسة أ جزاء،أو عصر العقلانية والتنوير ثم عصر العلم والتكنولوجيا[1].

ولتتبع المسار التاريخي للحضارة الأوروبية كان لابد من المرور على جميع مراحلها يفضي من تتبع الحضارة إلى أن العقلانية قد انهارت وتحولت إلى التاريخية وعليه اللاعقلانية، كما تحولت من الطابع النقدي إلى العدمية ومن الكونية إلى العنصرية و من الروحانية إلى المادية الحسية الصرفة[8].

لقد اكتشفنا حقيقة أن الحضارة الأوروبية لم تتأسس هكذا من العدم، بل تأسست على أرضية خصبة هيأتها لها الحضارات القديمة التي جاءت قبلها وديانات سماوية سابقة، لاسيما الحضارة اليونانية التي ما زالت آثارها إلى الآن، و هذا واضح من خلال فلسفة كبار مفكريها أمثال" أرسطو، أفلاطون، سقراط" بالإضافة إلى الحضارة الرومانية العريقة، وكذا الديانة اليهوديةو المسيحية التي أسست لمختلف الأفكار الموجودة حاليًا، والتي ما زالت حاضرة في وجدان الأوروبيين وخاصة في العصور الوسطى مع القديس" أوغسطين "و" توما الإكويني "و" القديس أنسلم "و غيرهم من عمالقة الفكر الديني المسيحي في ذلك العصر .

---

7 حسن حنفي، التراث و التجديد :موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، لبنان، ط 4 ، 1992 ، ص21

8السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، مرجع سابق ،ص38

فالحضارتين اليونانية والرومانية والديانة المسيحية كلها مصادر معلنة أسست الحضارة الأوروبية، أما عن المصادر الخفية فتتحدد في الحضا رات الشرقية القديمة، كالحضارة الهندية والحضارة المصرية والحضارة الفارسية، والتي يشهد لها العالم فاعليتها في الفكر، وكذا البيئة الأوروبية كانت نفسها مؤسسة لحضارتها، لكن أوروبا لم تعلن هذه المصادر ربما خوفا من كون ذلك سيفقدها هيبتها وقوتها لذا لم تشأ البوح بهذه المصادر، أما عن المصادر المعلنة فكانت ممهدة لظهور الحضارة الأوروبية وقيامها ،وهذا الموقف منها جعله مفكرا غربيا.

**3-الموقف من المجتمع** :فهي تتحدث في" موقفنا من الواقع أو نظرية التفسير "عن الواقع الذي يقصده هو الواقع الذي نعيش فيه وكيف نفسره لخدمة مستقبلنا، وتولي هذه الجبهة اهتماما لتفسير الوحي طبقا لقضايا العصر، ويتضمن ذلك ثلاثة أجزاء :الأول العهد القديم، والثاني عن العهد الجديد، والثالث عن القرآن الكريم المنهاج كتفسير موضوعي للقرآن ،ابتداء من الإنسان والمجتمع و التاريخ[1] .

إعادة تفسير الوحي ضرورية بالنسبة للواقع،وهذا ليتماشى مع متطلبات العصر،وخاصة القرآن الكريم .بطرق موضوعية بعيدة عن الذاتية التي طبعت مختلف التفاسير،ابتداء من الإنسان وصولاً إلى المجتمع التاريخ بحكم أن هذه الثلاثية لا يمكن الفصل بين عناصرها، فالكل يكمل بعضه البعض القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان وتفسيره من جديد بطريقة تواكب العصر، تجعل منه مرتبطًا بالعصر الحالي كما ذكرنا سابقًا أن هذه الجبهة أي" موقفنا من الواقع "تشمل ثلاثة أجزاء :العهد القديم، العهد الجديد، والتفسير أو المنهاج.

ومعنى هذا أن زاوج بين التراث العربي و الوافد الغربي اللذان تمثلانهما الجبهات الأولى أو الثانية إذا كانت أطول من حيث الزمان ، فإن الجبهة الثالثة هي أقصر منهما لأنها تمثل الخصلة ، فهذه الجبهة" موقفنا من الواقع "مازال حسن حنفي يراها لم تكتمل بعد ،وجعل منه هذا الموقف صاحب مشروع حقيقي وجريء في السياسة والاجتماع والأخلاق

والحياة عامة، فالإستراتيجية التي اتبعها مرتبطة بالعقل والنقل والواقع، لأن العقل هو الذي يعي ويقرأ ويحلل وينقد ويبني ويركب ويكشف ويغيّر ويطوّر ويجدد، يبني الواقع ويصنع التاريخ والحضارة أما النقل وراء إنتاج الحضارة لأمة لها ماضي وتراث تاريخ ودين، وتأثير المنتجات الفكرية والعلمية للحضارة الإسلامية لازال يطبع نفوس أصحابها على الرغم من مرور الزمن عليها. ولأن الواقع يجد فيه صاحبه آماله ويعيش أحزانه، فيه حياته في جميع مستوياتها الفكرية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وقراءة المقولات الكبرى في الفلسفة التي يقوم عليها مشروع "التراث والتجديد"، مقولة العقل ومقولة النقل ومقولة الواقع، وقراءة صلة هذه المفاهيم ببعضها البعض يدل بوضوح على ورودها بمدلولات متعددة ومتباينة تبعا لمرجعياتها ، فهي أخذت نصيبها من التحليل في مستوى أرقى من الدقة والعمق والكفاية. لكنها تبقى دوما تعبر عن مواقف صاحب المشروع الفكرية والفلسفية والإيديولوجية والسياسية ،كما يغلب عليها الطابع التاريخي أحيانا والطابع التجريدي في أحيان أخرى على الرغم من أنّ المشروع يعطي الأولوية للواقع دون غيره.

## إعادة بناء أصول علوم الدين

إنّ إعادة بناء العلوم القديمة علوم النقل وعلوم العقل مهمة الجيل المعاصر في العالم العربي والإسلامي بعدما أصبحت عامل انهزام وضعف، لتكون عامل تقدم وازدهار، وكانت من قبل عامل قوة وتحضر فشل النهضة لعدة أسباب :

1- الاستيلاء على السلطة باعتبار أنه لا نهضة دون سلطة.

2- هيمنة فكرة الزعيم أو الزعامة (محمد علي، سعد زغلول، جمال عبد الناصر..).

3- الحكم عن طريق النخبة باعتبارها زعامة موسعة من قبيل اعتماد محمد علي على النخبة التركية الأوروبية، والحكم بعد 1919 بالاستراتيجية الإقطاعية (الباشوات)، والثورات عن طريق النخبة العسكرية التي تمثل الطبقة المتوسطة، والخشية من المثقفين باعتبارهم يشكلون نخبة أو طبقة تسعى لقيام النهضة.

4- مفهوم الدولة، ذات القوانين المقتبسة من الغرب أو من الشريعة، غير الموجود أصلا في الثقافة العربية الإسلامية التي لا تستمد هويتها من الجغرافيا بل من مفهومي الأمة والخلافة.

5- التدخل الغربي الذي يؤدي إلى التغريب إن كان إيجابا وإلى العدوان إن كان سلبا. واستشهد على سعي الغرب إلى إجهاض جميع المحاولات النهضوية.

إن المشروع الفكري لحسن حنفي ومن خلال الآليات والمناهج المتبعة في التحليل والدراسة ،أسس علم الإستغراب حيث سعى فيه إلى دراسة الوعي الغربي الذي يؤسس فكره على أصلين إثنين هما ( اليوناني – الروماني) و( المسيحي – اليهودي) وكشف الأصول الأخرى في تكون الوعي الأوروبي و تطور حضارته التي يطمسها الغرب و يتكتم عليها مثل الأصول الشرقية والإسلامية وحتى المسيحية التي طمستها اليهودية وغيرت في قيمها، فحسن حنفي درس مراحل تطور الحضارة الأوروبية الثلاث :عصر آباء الكنيسة والعصر المدرسي والعصر الحديث ويرى أن من خلال تتبع مسار الحضارة الغربية إلى أن الفكر العقلاني فيها بدأ يندثر ويتحول إلى الفكر اللاعقلاني ، وتحولت من الفكر النقدي إلى العدمية ، ومن الكونية إلى العنصرية ومن الأخلاقية إلى المادية ،وأصبح الفكر الأوروبي في تصور حنفي فكرا يتأرجح بين المتناقضات والتيارات الفكرية المتضاربة الآراء .

إن المشروع النظري لحسن حنفي حسب – ولد آباه – مادة لمشروع سياسي أطلق عليه " اليسار الإسلامي " فقد أراده إطارا جامعا لكل التيارات الفاعلة في الأمة : " الإخوة في الله" ،و" الإخوة في الوطن " ،و" الإخوة في الثورة " ،و" الإخوة في الحرية " يهدف إلى الإصلاح الديني وتحرير الأرض و القضاء على التفاوت الطبقي ..يرمي إلى نهضة حضارية شاملة تبرز جوانب التقدم في تراثنا القديم وتستبعد منه معوقاته [9].

9 السيد ولد أباه ، أعلام الفكر العربي ، مرجع سابق ، ص 43